تعليق

الدكتور شاكر الفحام

قرأتُ الكلمة الممتعة التي حبّرها الصديق الدكتور محمد الدالي،معرّفاً بكتابي النحوي الكبير بهاء الدين بن النحاس (٦٢٧ – ٦٩٨ هـ) أستاذ أبي حيان النحوي الأندلسي، ومنبّهاً على طائفة من الهنات التي وقعت فيهما، تدل على ما وراءها.

فخطر ببالي القصيدةُ التي نظمها ابن مالك في ذكر الأفعال التي جاءت لاماتها بالواو وبالياء، والتي أوردها الإمام السيوطي في كتابه المزهر.

وعدتُ إلى المزهر، فوجدت أن قصيدة ابن مالك تضمُّ الأبيات التسعة والأربعين التي جاءت في منظومتي الشوّاء وابن النحاس[1].

وتصفحت الكتابين (وقد تيسَّر لي الحصول عليهما بفضل الأستاذ المدني حفظه الله) لأطلع على ماقام به المحقق الفاضل الأستاذ الدكتور تركي العتيبي في معالجة هذه القضية التي أثارها السيوطي في مزهره، فرأيته قد أفرد فقرة لتوثيق نسبة هدى مهاة الكلتين إلى ابن النحاس (ص ٦٦)، كما أفرد فقرة مثلها لتوثيق نسبة مهاة الكلتين إلى المؤلف نفسه (ص ٧٩)، ولكنه لم يعرض في الموضعين لقضية نسبة الأبيات إلى ابن مالك، مكتفياً بقوله في الفصل الثاني من كتابه مهاة الكلتين، الذي عقده للموازنة بين منظومتي الشوّاء وابن النحاس: «وأود أن أشير إلى أن الإمام السيوطي قد وهم في نسبة هاتين المنظومتين، فجعلهما قصيدة واحدة، ووهم في نسبتهما إذ عزاها

(١) المزهر ٢: ١٧٨ – ١٨٠ / القاهرة ـ مكتبة صبيح.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى ابن مالك. وقد جاءت هاتان القصيدتان في مخطوط واحد محفوظ في جستربتي، منسوبة إلى ابن مالك»[١].

إني أعتقد أنه لا يكفي في معالجة القضية المثارة أن ننسب الوهم إلى الإمام السيوطي ارتجالاً دون دليل مقنعٍ، ولا سيما أن الأستاذ الفاضل قد ذكر أن ثمة مخطوطة في مكتبة جستربتي نسبت الأبيات إلى ابن مالك، فالسيوطي لم ينفرد إذن بنسبة الأبيات إلى ابن مالك. كذلك فإن بروكلمان قد ذكر في كتابه تاريخ الأدب العربي أن قصيدة الشواء الحلبي التي تناولت الأفعال التي جاءت لاماتها بالواو وبالياء تنسب إلى ابن مالك في مخطوطتين ببرلين[٢].

وكان الشيخ محمد راغب الطباخ قد نشر تسعة عشر بيتاً من قصيدتي الشواء وابن النحاس، ونسبها جميعاً إلى الشواء على حين أن ثمانية أبيات منها هي للشواء، والأحد عشر بيتاً الباقية هي لابن النحاس طبقاً لما أورده الأستاذ المحقق الدكتور تركي العتيبي[٣].

وتصدّى الأستاذ محمد بن أبي شنب لمقالة الأستاذ الطباخ، وأشار إلى ماذهب إليه السيوطي في المزهر من نسبة القصيدة إلى ابن مالك. ثم أضاف أن نصراً الهوريني قد نقلها عن المزهر ونسبها إلى ابن مالك في كتابه: المطالع النصرية للمطابع المصرية، وخلص في مقالته إلى أن القصيدة لابن مالك[٤].

لهذا كله كان لابد من دراسة متأنية معمقة تنتهي إلى حلّ مقنع، موثّق بالأدلة، فهذا أدعى للتحقيق وجلاء الأمر. وأُحب أن أشير هنا إلى أن ابن

(١) مهاة الكلتين وذات الحلتين: ٤٥.

(٢) تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) ٥: ٥٢.

(٣) انظر القصيدتين في مهاة الكلتين: ٣٧ – ٤١.

(٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج ٨: ٤٣٢ – ٤٣٨، ٦٩٢ – ٦٩٣.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النحاس كان من تلاميذ ابن مالك[١].

وعُرف ابن النحاس بكتابه الشهير: التعليقة على كتاب المقرب، حتى أشار بعض من ترجم له إلى أنه لم يصنّف شيئاً سوى شرحه على المقرب[٢].

وددتُ لو أن المحقق الفاضل وهو يترجم لابن النحاس توقف عند كلمة أوردها بروكلمان، وهي أن لبهاء الدين بن النحاس شرحاً لديوان امرئ القيس مسمى بالتعليقة[٣]. وتشكك الأستاذ فؤاد سزكين في نسبة الكتاب إلى بهاء الدين، وعرض أسباب تشككه[٤]. تمنيت لو عرض الأستاذ المحقق لهذه المسألة فكانت قولته الكلمة الفصل فيها.

لقد بذل الأستاذ الفاضل جهده فقدم نصاً أقرب مايكون إلى أصله. وإني لأرجو أن يوفق الأساتذة العلماء لإكمال المسيرة في إصلاح مابقي من خطأ، وفي الكشف عما ينتهون إليه في معرفة صاحب الأبيات.

بقي علي أن أقول كلمة قصيرة. لقد جاء في ختام القصيدة المنسوبة إلى ابن مالك قول محقق المزهر في الهامش:

«كتَبَ بهامش الأصل مصححُه مقابل الأفعال التي جاءت لاماتها بالواو والياء ماصورته: وزدتُ عليه:

ومتوتُ حبلاً أو متيتُ مددتُه وسَنوتُ باباً أو سَنيتُ فتحته

ورأيت لبعضهم زيادة لا يسعها الهامش. قاله نصر اهـ محمود حسن زناتي»[٥].

(١) مهاة الكلتين: ١٨، هدى مهاة الكلتين: ٣١.

(٢) بغية الوعاة: ٦، مهاة الكلتين: ٢٤، هدى مهاة الكلتين:٣٧.

(٣) تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) ١: ١٠١، ٥: ٢٩٧،وتابعه الأستاذ الزركلي في كتاب الأعلام (٥: ٢٩٧).

(٤) تاريخ التراث العربي (الترجمة العربية) مج ٢ / الشعر ج ٢: ٣١.

(٥) المزهر ٢: ١٨٠ / القاهرة ـ مكتبة صبيح.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لعله يحسن أن أشير هنا إلى أن طائفة من الكتب التعليمية التي كانت تصدر في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين بعنوان : «مجموع من مهمات المتون ....» كانت تشتمل على القصيدة المذكورة آنفاً منسوبة إلى ابن مالك .

وجاءت المنظومة في كتاب سراج الكتبة للشيخ مصطفى طموم، وفي ختامها زيادة أربعة عشر بيتاً . ولم ينسب المؤلف المنظومة، ولم يذكر مصدراً لها مكتفياً بقوله في المطلع : «الافعال التي أتت بالواو والياء» .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net